أكاديمية الإمام الذهبي

للعلوم الشرعية

شرح

مائة المعاني والبيان

لزين الدين أبي الوليد محمد بن محمد الحلبي الحنفي المعروف بـ ابن الشحنة

(ت:٨١٥هـ)

المحاضرة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله البديع الهادي، إلى بيان مهيع الرشاد، أمدَّ أرباب النهى ورسما، شمس البيان في صدور العُلَما، فأبصروا معجزة القرآن، واضحة بساطع البرهان.

ثم صلاة الله ما ترنَّما، حادٍ يسوق العيس في أرض الحمى، على نبينا الحبيب الهادي، أجلِّ كلِّ ناطقٍ بالضاد، محمدٍ سيدِ خلقِ اللهِ، العربيّ الطاهرِ الأوّاهِ، ثم على صاحبه الصدّيقِ، حبيبِه وعمرَ الفاروقِ، ثم أبي عمرو إمام العابدينْ، وسطوةِ الله إمامِ الزاهدينْ، ثم على بقية الصحابةْ، ذوي التقى والفضل والإنابةْ، والمجدِ والفُرصةِ والبراعةْ، والحزمِ والنجدةِ والشجاعةْ، ما عكف القلب على القرآنِ، مرتقياً لحضرة العرفانِ.

أما بعد: فهذه هي المحاضرة العاشرة من محاضرات شرح منظومة مائة البيان والمعاني، لابن الشحنة الحنفي رحمه الله، التابعة للفصل الدراسي الثاني، من السنة الدراسية الثالثة، في أكاديمية الإمام الذهبي رحمه الله.

فأقول وبالله التوفيق ومنه العون والتسديد:

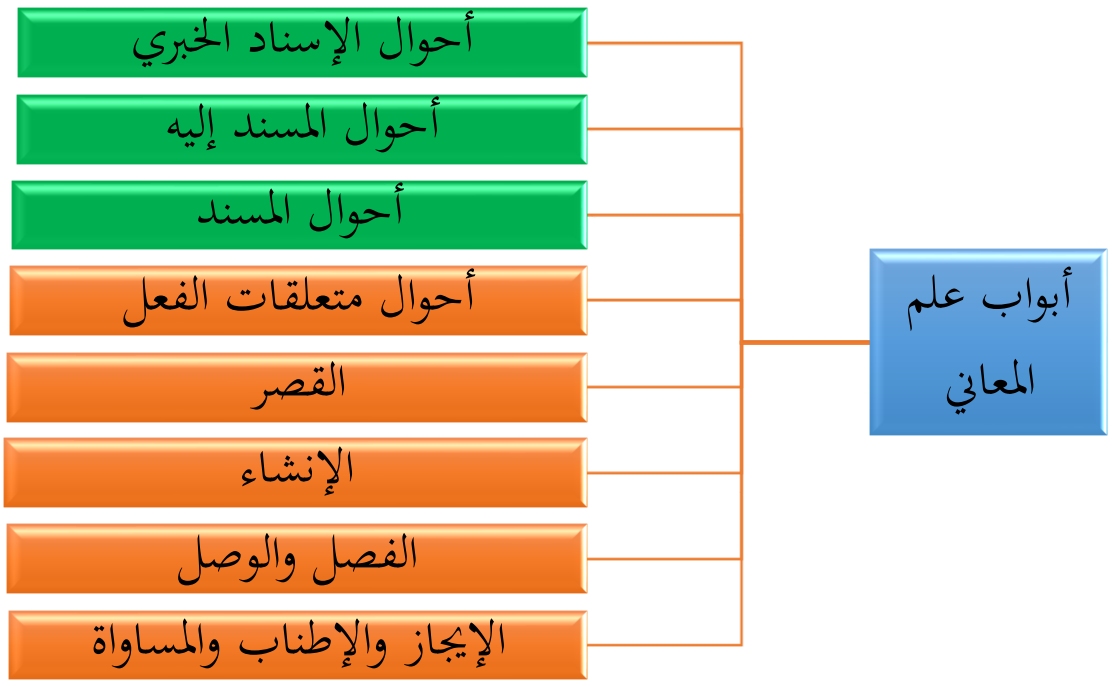

قال الناظم رحمه الله: **البابُ الثَّالِثُ : أَحوَالُ المُسْنَدِ**

لِمَـا مَضَـــى التَّرْكُ مَعَ القَرِينَـهْ ... وَالـذِّكْرُ أَوْ يُـفِيـدُنَا تَـعْيِينَـهْ

وَكَـونُـهُ فِـعْـلاً فَـلِـلتَّـقـيُّـدِ ... بالْـوَقـتِ مَـعْ إِفَـادَةِ الـتَّـجَـدُّدِ

وَاسْمـاً فَـلِانْـعِـدَامِ ذَا وَمُـفْـرَدَا ... لأَنَّ نَفْسَ الحُكْمِ فيـهِ قُصِـــدَا

وَالْفِعْـلُ بِالْـمَفْعُولِ إِنْ تَـقَيَّـدَا ... وَنَحْـوِهِ فَـلِـيُـفِـيـدَ زَائِـدَا

وَتَـرْكُـهُ لِـمَـانِـعٍ مِـنـهُ وَإِنْ ... بِالشَّـــرْطِ بِاعتِبـارِ مَـا يَجِيءُ مِنْ

آدَابِـهِ وَالجَـزْمُ أَصْـــلٌ فِي إِذَا ... لاَ إِنْ وَلَـوْ وَلاَ لـذَاكَ مَـنْـعُ ذَا

وَالْوَصْـــف وَالتَّعْرِيفُ وَالتَّـأْخِيرُ ... وَعَـكْسُـــهُ يُـعْـرَفُ وَالـتَّـنـكِيرُ

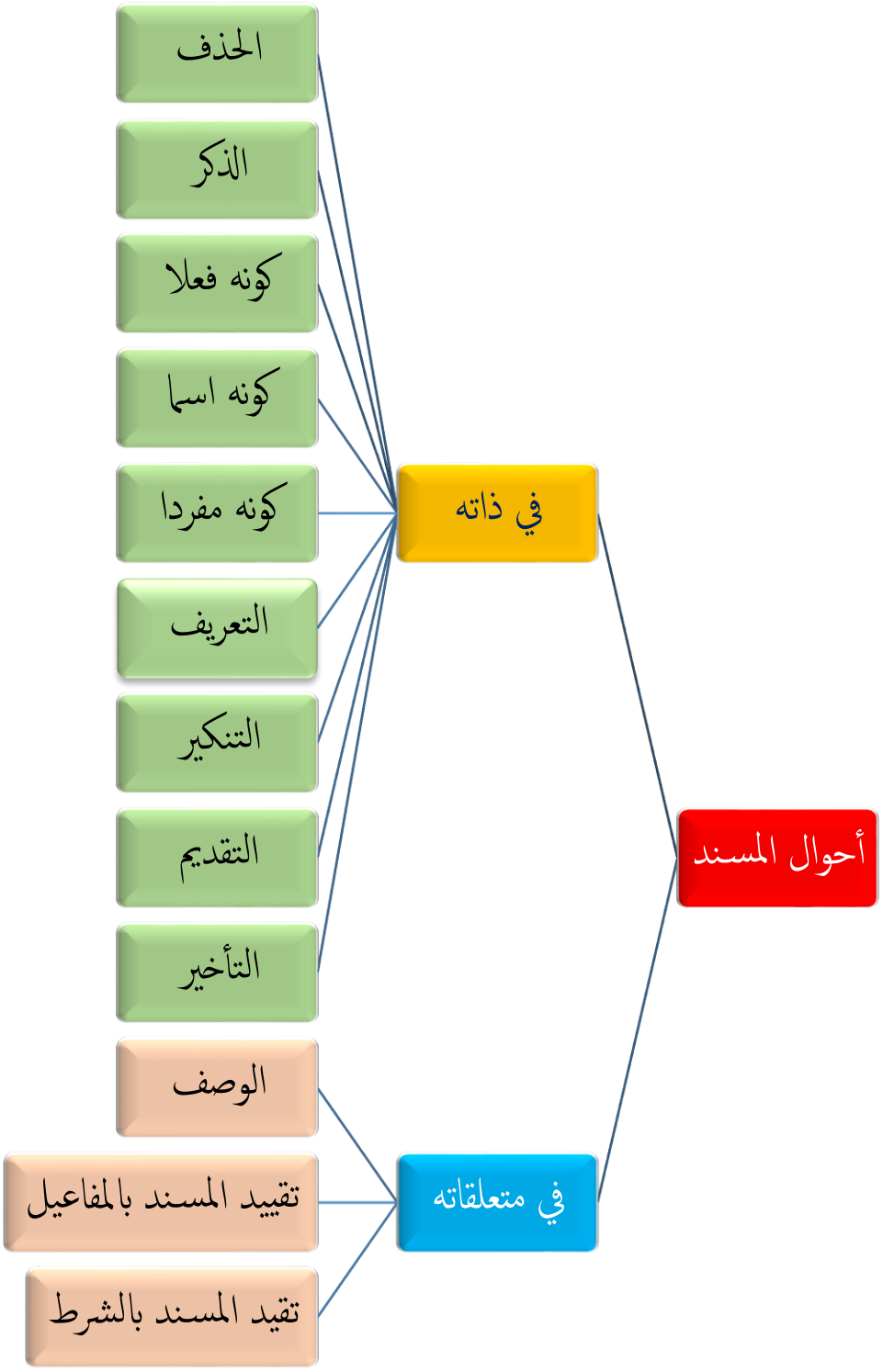
أحوال المسند
في ذاته
في متعلقاته
الحذف
الذكر
كونه فعلا
كونه اسما
كونه مفردا
التعريف
التنكير
التقديم
التأخير
الوصف
تقييد المسند بالمفاعيل
تقيد المسند بالشرط

أحوال المسند من حيث ذاته

١- حذف المسند:

قال الناظم رحمه الله:

لِمَـا مَضَـــى **التَّرْكُ** مَعَ القَرِينَـهْ .....

٢- ذكر المسند:

قال الناظم رحمه الله:

..... **وَالـذِّكْرُ** أَوْ يُفِيـدُنَا تَعْيِينَـهْ

٣- كون المسند فعلا:

قال الناظم رحمه الله:

وَكَـونُـهُ **فِـعْـلاً** فَـلِـلـتَّـقـيُّـدِ بالْـوَقـتِ مَـعْ إِفَـادَةِ الـتَّـجَـدُّدِ

٤- كون المسند اسما:

قال الناظم رحمه الله:

وَاسْمـاً فَـلِاِنْـعِـدَامِ ذَا ....

٥- كون المسند مفردا:

قال الناظم رحمه الله:

..... **وَمُـــفْـــرَدَا** لأنَّ نَفْسَ الحُكْمِ فيـهِ قُصِـــدَا

٦- تعريف المسند:

قال الناظم رحمه الله:

وَالْوَصْـــف **وَالتَّعْرِيفُ** وَالتَّـأْخِيرُ وَعَـكْسُـــهُ يُـعْـرَفُ وَالـتَّـنـكِـيرُ

المعرفة: اللَّفظُ الذي يدُلُّ على مُعيَّنٍ.

والأصل في المسند إليه التعريف، وفي المسند التنكير، نحو: زيدٌ مجتهدٌ.

والتعريف قد يكون: بالعلمية – بالضمير – باسم الإشارة – بالاسم الموصول – أل – بالإضافة.

ولتعريف المسند إليه أغراض بلاغية منها:

a) إعطاء السامع حكما معلوما بناء على أمر معلوم عنده: نحو قولك لمن يعرف زيدا بعينه، واسمه، لكن لا يعرف أنه أخوه، وأردت أن تعرفه الحكم: زيد أخوك.

أو قولك لمن يعرف أنه له أخا في الجملة، ويعرف زيدا بعينه واسمه، وأردت تعيينه عنده: أخوك زيدٌ.

b) قصر المسند على المسند إليه: وهو نوعان:

i. قصر حقيقي: محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

ii. قصر إضافي (ادعائي): أبو بكر الصدِّيقُ – عمر العدلُ – عليٌ الشجاع.

٧- تنكير المسند:

قال الناظم رحمه الله:

وَالْوَصْـــفُ وَالتَّعْرِيفُ وَالتَّـأْخِيرُ وَعَـكْسُـــهُ يُـعْـرَفُ **وَالتَّـنـكِـيرُ**

لتنكير المسند أغراض بلاغية منها:

- إفادة العلم بشيء مجهول: وهذا هو الأصل في التنكير، كقولك: زيد كاتبٌ – بكر شاعرٌ.
- لتفخيم المسند إليه: كقوله تعالى { ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين}
- للتحقير: كقولك في النمرود: قتله بعوضٌ – القاتل بعوضٌ.

٨- تأخير المسند:

قال الناظم رحمه الله:

وَالْوَصْفُ وَالتَّعْرِيفُ **وَالتَّأْخِيرُ** وَعَـكْسُـــهُ يُـعْـرَفُ وَالـتَّـنـكِـيرُ

تأخير المسند هو الأصل في الكلام، نحو قولك: زيد كاتب – زيد في الدار – زيد قائم أبوه، ولا يعدل عن هذا الأصل فيقدم المسند على المسند إليه إلا لأغراض بلاغية.

٩- تقديم المسند:

قال الناظم رحمه الله:

وَالْوَصْـــفُ وَالتَّعْرِيفُ وَالتَّـأْخِيرُ **وَعَـكْسُـــهُ** يُـعْـرَفُ وَالـتَّـنـكِـيرُ

لتقديم المسند على المسند إليه أغراض بلاغية منها:

- تخصيص المسند بالمسند إليه: كما في قوله تعالى { لا فيها غولٌ}

فائدة: الفرق بين تقديم المسند على المسند إليه، وبين تقديم المسند إليه على المسند في إفادة الحصر:

تقديم المسند على المسند إليه، يفيد الحصر بلا قيد أو شرط، كقوله {لله الأمر من قبل ومن بعد}

وأما تقديم المسند إليه على المسند فيفيد الحصر بشرطين:

أن يسبق بنفي أن يكون الخبر جملة فعلية.

كقول الشاعر: وما أنا أسقمت جسمي به ***** ولا أنا أضرمت في القلب نارًا

- التنبيه من أول الأمر أن المسند خبر لا نعت:

تأخير المسند عن المسند إليه قد يوهم أحيانا أنه نعت للمسند إليه لا خبر، فيقدم المسند على المسند إليه لدفع هذا التوهم، كقول أبي بكر النطاح في وصف أبي دلف العجلي:

له همٌ لا منتهى لكبارها ***** وهمته الصغرى أجل من الدهر.

أصل الكلام: همم له لا منتهى لكبارها، لكن هذه الصيغة توهم أن "له" صفة للمبتدأ؛ لأن النكرة تستدعي الصفة أكثر من الخبر، والحال أن الشاعر يريد أن يثبت الهمم لممدوحه، فقدم المسند على المسند إليه؛ دفعا لهذا التوهم.

- تعجيل التفائل أو التشاؤم: كقولك لمريض تفاؤلا: في عافية أنت، وقولك للص رأيته يسرق: في السجن أنت.
- إرادة التشويق إلى ذكر المسند إليه: ويكثر هذا في المدح والوعظ.

المدح كقول محمد بن وهب يمدح المعتصم:

ثلاثةٌ تشرق الدنيا ببهجتها ***** شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

والوعظ كقول أحدهم:

ثلاثةٌ ليس لها إياب ***** الوقت والجمال والشباب

أحوال المسند من حيث متعلقاته:

١- تقييد المسند بالمفاعيل:

قال الناظم رحمه الله:

وَالْفِعْلُ **بِالْمَفْعُولِ** إِنْ تَقَيَّدَا وَنَحْوِهِ فَلِيُفِيدَ زَائِدَا

وَتَرْكُهُ لِمَانِعٍ مِنْهُ ....

المراد بالمفاعيل، أي: المفاعيل الخمسة، وهي: المفعول به – المفعول له – المفعول فيه – المفعول معه – المفول المطلق، وقد جمعت في قولك:

ضربتُ **ضربًا أبَا** العلاء **غداةَ** أتى ***** وسرتُ **والنيلَ خوفًا** من عقابك لي.

فالفعل قد يقيد بالمفاعيل الخمسة، أو بغيرها كالحال والتمييز، وذلك لزيادة الفائدة في الكلام، فكلما ازدادت القيود في الكلام قلت الاحتمالات، وكلما قل الاحتمال ازداد الكلام وضوحا، كالتالي:

أكرم زيد، أوضح منه: أكرم زيد بكراً، وأوضح منه: أكرم زيد بكرًا إكراما شديدا، وأوضح منه: أكرم زيد بكرًا إكراما شديدًا صباحاً، وأوضح منه: أكرم زيد بكرًا إكراما شديدًا صباحاً أمام الطلاب، وأوضح منه: أكرم زيد بكرًا إكراما شديدًا صباحاً أمامَ الطلاب حباً به....الخ

وقد يترك هذا التقييد لوجود مانع، كاستقباح ذكره، كقوله تعالى {ثم اتخذتم العجلَ من بعده} أي: معبودا.

٢- تقييد المسند بالشرط:

قال الناظم رحمه الله:

..... وَإِنْ **بِالشَّـــرْطِ** بِاعتِبارِ مَا يَجِيءُ مِنْ

آدَابِـهِ وَالجَـزْمُ أَصْـــلٌ فِي إِذَا لاَ إِنْ وَلَوْ وَلاَ كـذَاكَ مَنْعُ ذَا

ذكر الناظم رحمه الله في هذين البيتين أن تقييد المسند بالشرط له فوائد بلاغية تفهم من معنى أداة الشرط المقيد بها، كالزمان في (متى وأيان)، والمكان في (أين وأنى وحيثما) والحال في (كيفما) فيختلف المعنى باختلاف أداة الشرط.

والكلام على أدوات الشرط من مباحث علم النحو، إلا أن علماء البلاغة اهتموا بثلاث أدوات شرط لاختصاصها بمزايا تعد من علم البلاغة وهي: إذا – إن – لو.

١- **إذا:** أداة شرط غير جازمة، تستعمل فيما يجزم ويقطع بوقوعه في المستقبل، ولذلك يتلوها الفعل الماضي كثيرا؛ لدلالته على الوقوع نحو: { إذا جاء نصر الله والفتح} – { إذا الشمس كورت}

وهو معنى قول الناظم: **والجزم أصل في إذا.**

٢- **إن:** أداة شرط جازمة، تستعمل فيما يشك ولا يجزم بوقوعه في المستقبل، نحو قوله {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}

وهو معنى قول الناظم: **لا إن.**

٣- **لو:** أداة شرط غير جازمة، في الزمن الماضي، تستعمل في القطع والجزم في عدم وقوع الشرط، فيلزم حينها انتفاء الجزاء، فهي حرف موضوع لامتناع الجزاء لامتناع الشرط، كما في قوله تعالى {لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا} فجزم بانتفاء الشرط وهو وجود آلهة في السماء والأرض غير الله، فانتفى الجزاء، وهو فساد السماء والأرض، فانتفى الفساد لانتفاء وجود آلهة غير الله.

وهو معنى قول الناظم: **لا إن ولو.**

وأما قول الناظم: **ولا لذاك منع ذا،** فالمراد به الآتي:

أن العلماء اختلفوا في (لو) هل هي حرف موضوع لامتناع الجزاء لامتناع الشرط، أم حرف موضوع لامتناع الشرط لامتناع الجزاء؟

فالجمهور على أنه حرف موضوع لامتناع الجزاء لامتناع الشرط، بينما ذهب الإمام ابن الحاجب رحمه الله إلى أنه حرف موضوع لامتناع الشرط لامتناع الجزاء.

فيقول: إن "لو" ليست حرف موضوع لامتناع الشرط لامتناع الجزاء، بل حرف موضوع لامتناع الجزاء لامتناع الشرط.

٣- وصف المسند:

قال الناظم رحمه الله:

وَالْوَصْـــفُ وَالتَّعْرِيفُ وَالتَّـأْخِيرُ وَعَـكْسُـــــهُ يُـعْـرَفُ وَالـتَّـنـكِـيرُ

ذكر الناظم رحمه الله في هذا البيت أن المسند يوصف لأغراض بلاغية، كالتي ذكرت في المسند إليه، كقولك: زيد كاتبٌ بارعٌ، فقولك: بارعٌ هو وصف للمسند "كاتب"

أو يفيد تخصيص المسند بالإضافة كقولك: زيدٌ غلامُ رجلٍ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم